ثورة تونس المسلّحة ضدّ الاستعمار الفرنسي
من الاندلاع إلى الاستقلال 1956-1952 م

د. فيصل جميل[1]

الملخّص

يتناول بحثنا موضوع المقاومة المسلّحة في تونس ضدّ الاستعمار الفرنسي، والتي انطلقت بثورة ١٨ جانفي ١٩٥٢م، المسلّحة بعد أن أغلق الفرنسيون كلّ سبل الإصلاح في البلاد التونسية، وإدراك زعماء الحركة الوطنية أنّ مرحلة البندقية قد آنت. ويمرّ بحثنا على ظروف حمل البندقية قبل الغوص في أطوار الثورة، وما حقّقته من مكاسب، ثمّ يستعرض أسباب الخلاف اليوسفي البورقيبي وتطوراته وصولاً إلى حمل البندقية من جديد، والسير نحو تحقيق الاستقلال التام للبلاد. إجمالاً يحاول بحثنا تبيان دور العمل المسلّح في تحقيق الاستقلال.

الكلمات المفتاحيّة: الثورة المسلّحة، الاستقلال، الحبيب بورقيبة، صالح بن يوسف، الديوان السياسي، الأمانة العامّة.

---

١. أستاذ في المعهد العالي للعلوم الإنسانية – جامعة قابس- تونس.

المقدّمة

في صباح يوم الثالث عشر من كانون الثاني(يناير) ١٩٥٢م، أعلن الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة أمام الجماهير التي كانت تهتف للتصعيد في النضال جملته المأثورة (استعدوا للتضحية). في تلك الفترة كان زعماء الحزب الدستوري التونسي الجديد يدركون أنّ حمل السلاح صار محتّما بعد انسداد سبل المفاوضات مع الحكومة الفرنسية، إثر إصدارها لمذكرة ١٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩٥١م، التي تنكّرت فيها لمطالب الوطنيين وقطعت مع كلّ تفاهمٍ بعد أن عيّنت دي هوت، وهو أحد أبرز غلاة الاستعمار متصرّفًا عامًا على تونس[١]. في الفترة ذاتها كان يخيّم على أوساط التونسيين على مختلف مستوياتهم المتعلّمين والأميّين، وعي بضرورة التصعيد في وجه السلطة الاستعمارية، فتلاميذ وطلبة المعاهد الثانوية والجامع الأعظم مثلاً، توجّهوا نحو التصعيد فكانوا طوال الأشهر الثلاثة الأولى من سنة ١٩٥٢، إمّا مضربين عن الدروس، وإمّا متجمهرين في ساحات معاهدهم والشوارع العامة[٢]. في الفترة ذاتها تعدّدت احتجاجات التجّار الصغار والمهنيين فكانوا يغلقون محالّهم وورشهم في كامل أنحاء البلاد بتحريك من الاتحادات المهنية، والأحزاب الوطنية، وحركتي الطلبة والكشّافة[٣].

إجمالاً، كانت الأوضاع تسير في طريقٍ مسدودٍ، وتدفع بشكلٍ أو بآخر إلى تغيير أساليب النضال، ورفع البندقية في وجه المستعمِر حتى تتحقّق مطالب الحركة الوطنية. ومن أجل ذلك كثّفت قيادات الحزب اتصالاتهم في شتّى مناطق الإيالة لتأطير الثورة المسلحة، وبرز على الساحة رجالٌ أشاوس أوكلت لهم مهمّة تكوين خلايا مقاومة في جهاتهم. فانبثقت عددٌ من التنظيمات السرية عن رجالات الحزب الدستوري الجديد في المدن والأرياف، وتعدّدت تسمياتها كـ (لجنة المقاومة)، أو (اليد السوداء)، أو (اليد السوداء الجديدة) بصفاقس[٤].

١. حمد الله، مصطفى حسن، أصداء المقاومة المسلحة التونسية ضدّ الاحتلال الفرنسي في الصحافة المصرية (١٩٥٤-١٩٥٧)، ص ١٠٧.

٢. الصغير، عميرة علية، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انتفاضة المدن – الفلاقة – اليوسفّية، ١٤.

٣. المرجع السابق.

٤. المرجع السابق، ص ١٦.

المحور الأول: ثورة ١٨ جانفي ١٩٥٢ المسلّحة

كان خطاب الحبيب بورقيبة في بنزرت إيذانًا باندلاع الثورة المسلّحة في البلاد، وهي الثورة التي جاءت من أجل كسر الجمود الذي أصاب القضية التونسيّة. لكن من البيّن أنّ الحزب لم يكن قد استعدّ جيدًا لهذه الثورة من الناحية اللوجستية خاصّة، وهو ما يمكن تبيّنه من خلال طريقة تجهيز العصابات وتسليحها في البداية، وقبل أن يمسك الحزب بزمام الأمور ليوفّر للمقاومين العدّة والعتاد، ويؤمّن لهم التدريبات.

أ. الاستعداد للثورة

طلب الحزب في البداية من قادة المقاومة التعويل على أنفسهم في تجهيز عناصر عصاباتهم وتسليحهم، إلى حين يصلهم دعم الحزب. وقد تمّ الاعتماد أساسًا على بقايا أسلحة الحرب العالمية الثانية في تونس، إذ مثّلت الأراضي التونسية ساحة معركةٍ لجيوش الحلفاء، والمحور لعلّ أبرز هذه المعارك كانت معركة خطّ مارث المنيع في الجنوب. وإثر انسحاب جيوش المحور والحلفاء تركوا خلفهم كمياتٍ كبيرةً من الأسلحة الحديثة منها المعطّب، ومنها الصالح للاستعمال. وقد سارعت القوات الفرنسيةٍ إلى تمشيط الأرياف خاصّة لجمع هذه البقايا استباقًا لما قد يحدث بها إذا وقعت بأيدي عصابات المقاومة، كما لم تتوان في إصدار الأحكام بالسجن، أو الإقامة في المحتشدات على كلّ من يحتفظ بقطعة سلاحٍ لديه[١].

كذلك يذكر المناضل العربي العكرمي أنّ تجارة الأسلحة انتشرت بكثافةٍ في الجنوب الشرقي، ومثّلت سوقًا مهمًّا لتسليح ثوّار قفصة كذلك، وهو ما تؤكّده الطاوس الشرايطي زوجة المقاوم لزهر الشرايطي، إذ ذكرت أنّ أسلحة المجموعة التي تزعمها الأزهر الشرايطي، تمّ شراؤها من جندي ألماني جريح بالمنطقة، وأشارت إلى تنامي سوق الأسلحة بالجنوب الشرقي[٢].

كما نظمّت عددٌ من الشعب الدستورية في الجهات حملاتٍ لجمع الأموال من الأهالي لتمويل عمليات شراء لأسلحة الحرب العالمية الثانية شأن شعبتي غمراسن ومطماطة. لكن يبدو أنّ الفرنسيين قد نجحوا في الكشف عن بعض هذه الشبكات والحملات، إذ يشير تقريرٌ لجيش البر الفرنسي[٣] صادرٌ عن جندرمية قابس بتاريخ ٨ فيفري ١٩٥٢، إلى أنّ السلطات تفطّنت لإعداد

١. التركي، عروسية، المقاومة المسلحة في جهة الأعراض من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤، ص ٥٠٤.

٢. جميل، فيصل، جبل دمّر زمن الجهاد والخلاف والشهادة، ص٤٠.

3. SHAT

عملية جمع تبرعاتٍ ستنظّم بمنطقة مطماطة لفائدة شراء أسلحة لثوار الحوايا[١].

أمّا مسألة التدريب فقد كانت فترة التحضير للثورة تعتمد أساسًا على المتطوّعين من الذين كانت لهم تجارب عسكرية سابقة، كالمشاركة في صفوف الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية، أو مع الجيوش العربية في حرب فلسطين في سنة ١٩٤٨. ففي صفوف الجيش السوري تطوع المقاوم الأزهر الشرايطي وتدرّب على استعمال السلاح[٢]. فيما تطوع المقاوم سعيد فرشينة في صفوف الجيش اللبناني، لكن قبل اللحاق بصفوف هذا الجيش، أشار لتلقيه تدريبات برفقة صديقه البشير الدغاري في معسكر تشرف عليه الجامعة العربية على التراب المصري. وأيّا كانت مساهمة هؤلاء المتطوّعين في الحرب العربية من أجل فلسطين فقد كانت تجربةً مهمّةً، ولّدت لديهم استعدادًا للثورة على المستعمر الفرنسي[٣].

مع اندلاع الثورة سافر المناضل الدستوري علي الزليطني إلى ليبيا، وبإعانة من العضوين بالبرلمان الليبي محمد الكريكشي والهادي المشيرقي استطاع أن يحصل على اعتراف الحكومة الليبية بحقّ اللجوء السياسي للوطنيين التونسيين، وكذلك بالاعتراف بمكتب الحزب بطرابلس[٤]. بدأ علي الزليطني بعد هذه الخطوة بالعمل على استغلال هذا القرار الليبي لمصلحة الثورة المسلحة، فقام الحاج عياد ربّانة وشريكه الحاج محمد المشاط بشراء مزرعتين في ضواحي طرابلس، الأولى كانت ناحية قصر بن غشّير، أمّا الثانية فكانت في سواني بنيادم على بعد ٢٠ كلم عن طرابلس. تمسح المزرعة الأولى التي خصصت للتدريب حوالي ١٢٥ هكتار، ويتوسّطها برج قديم فيه ٨ غرف استغلّها المجنّدون للمبيت. أمّا فيما يخصّ التدريب الذي تلقاه المجنّدون فكان حسب التقارير الفرنسية يشرف عليه تونسيّان لجآ إلى ليبيا[٥].

ثمّ وبتكليفٍ من مكتب الحزب في القاهرة والقيادة المصرية تمّ إرسال عبد الله عبعاب للمناطق الحدوديةٍ ليكون هو المشرف على عمليات إدخال المتطوّعين إلى ليبيا، وتركيز مراكز أولية

1. Fonds. SHAT. Bobine n° 389. 2M 15 H. folio 135.

٢. جريدة الصباح بتاريخ ١٣ جانفي ١٩٦٣.

٣. الصغير، عميرة علية، في سيرة مقاوم: الأزهر الشرايطي ١٩٢٠-١٩٦٣، ص١٨٨.

٤. الزليطني، محمد حفيظي، الزعيم علي الزليطني، سيرة ونضال: المناضل الذي كافح من أجل الاستقلال فلما جاء الاستقلال وجد نفسه في غياهب السجن، ص ٢١٨.

٥. الصغير، عميرة علية، كومندوس فرحات حشاد، ص ٢٠٤-٢٠٥.

لاستقبالهم، والبحث عن مخابئ آمنة يضعون فيها أسلحتهم، ليعودوا إليها فور إتمام تدريباتهم[١]. وانطلق عبد الله عبعاب فور وصوله في مأموريته بعد أن قام بتحديد مراكز الجيش الفرنسي المرابط بالجنوب التونسي، وقد تحوّلت طرابلس منذ تلك الفترة إلى نقطة تجنيد مهمة للثوار، وقاعدة أساسية للمعارضة التونسية، وملجأ رئيس لها[٢]. وفي أواخر سنة ١٩٥٣ تقدّم الحزب إلى رئيس الحكومة المصرية جمال عبد الناصر بطلب لتدريب المقاومين في مصر، فجاءت الموافقة سريعًا، وأذن بتخصيص جانب من معسكر كوبري القبّة لتدريب التونسيين، والمغاربة والجزائريين، ووضع على رأس الفريق الذي سيشرف على تدريبهم قبطانًا مصريًّا يدعى (عادل سوقة)، وعشرة ضبّاط[٣].

ب. الثورة تشتعل

اندلعت الثورة مباشرةً بعد أحداث يوم ١٨ جانفي ١٩٥٢ العنيفة في العاصمة تونس، وأخذت مجموعات المقاومة تتشكّل بعد ذلك في الجهات الداخلية، وخاصّة الأرياف والمناطق الجبلية. ففي مناطق الجنوب مثلاً شهدت جهة قفصة والجريد تشكيل مجموعة مقاومة تحت إمرة القائد الأزهر الشرايطي العائد من حرب فلسطين. أمّا في التراب العسكري فقد كوّن القائد مصباح الجربوع مجموعته من أبناء قبيلة ورغمة، وقد اتّخذ من جبل دمّر حصنًا له، ومنطلقًا لعملياته الفدائية.

كانت أعداد الملتحقين بالثورة في البداية متواضعة؛ إذ كانت أغلب العصابات تضمّ بضعة أنفار فقط شأن مجموعة القائد الأزهر الشرايطي التي ضلّت طيلة السنة الأولى للثورة تعتمد على أقلّ من عشرة رجال، لكن مع انطلاق العمل في مراكز التدريب في طرابلس، ثمّ في مصر أخذت أعداد المقاومين تزداد يومًا بعد يوم، حتى بلغت ٢٨٦٩ مقاومًا أثناء تسليم السلاح في ديسمبر ١٩٥٤[٤].

جاءت عمليات المقاومة في البداية في شكل ضربات محدودة وخاطفة، كان الهدف منها إعلان انخراط الجهة والعصابة في الثورة، كما كان الشأن في التراب العسكري مع أولى هذه العمليات، التي تمثّلت في إطلاق النار على شاحنتين عسكريتين قادمتين من رمادة في اتجاه قابس بـــ(خنقة تاجرة) بداية شهر فيفري ١٩٥٢[٥].

---

١. عبعاب، عبد الله، شهادة للتاريخ (مذكرات)، الجزء الأول ١٩١٧- ١٩٦١، ص١٩٥-١٩٨.

٢. المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٣. الزليطني، محمد حفيظي، الزعيم علي الزليطني، سيرة ونضال: المناضل الذي كافح من أجل الاستقلال فلما جاء الاستقلال وجد نفسه في غياهب السجن، ص ٢٢٠.

٤. إدريس، محمد مسعود، المقاومة المسلّحة بالجنوب الغربي للبلاد التونسية ١٩٥٢-١٩٥٤، ص ١٨٩.

٥. جريدة النهضة بتاريخ ٨ فيفري ١٩٥٦.

لكن سرعان ما أخذت هذه الضربات في التطوّر شيئًا فشيئًا حتى صارت في شكل مواجهاتٍ حادّةٍ كبّدت الجيش الفرنسي خسائر فادحةً في الأرواح والعتاد شأن معركة سيدي عيش بجهة قفصة في ١٨ سبتمبر ١٩٥٤، ومعركة جبل برقو من ٨ إلى ١٣ نوفمبر ١٩٥٤ التي انخرط في صفوفها الثوّار من قبائل وعروش متنوعة[١].

واجه الفرنسيون الثورة المسلّحة بتعزيزاتٍ عسكريةٍ كبيرةٍ جلبت من الجزائر، وعملوا على معاقبة قيادات الحركة الوطنية المتهمين بتحريك هذه الثورة، فقاموا بنفي رموز الحركة الوطنية التونسية شأن الزعيم الحبيب بورقيبة. وخطّطوا لاغتيال عددٍ أخر كالزعيم فرحات حشاد أحد أبرز المساهمين في الثورة، الذي طالته يد الغدر في يوم ٥ ديسمبر ١٩٥٢. وقد حاول المقاومون الثأر له بعد أن شكّلوا (كومندوس حشاد) في مركز التدريب بطرابلس، لكن تعقّبهم الجيش الفرنسي، واشتبك معهم فور دخولهم للتراب التونسي فاستشهد أغلبهم[٢].

أخذت الثورة منذ اندلاعها منحى تصاعديًّا في أعمالها، وقد شهدت تطوّرات ملحوظة فسّرها بعض المؤرّخين بنجاح التدريبات العسكرية المتطوّرة التي تلقّاها رجال الثورة، والتي ولدت عندهم الانضباط والالتزام ووحّدت عقيدتهم العسكرية. وفي سنة ١٩٥٤ اشتدّت الثورة المسلّحة، وبلغت المواجهات العسكرية ذروتها بعد حصول المقاومين على أسلحة أكثر تطورًا، فحسب تقرير القيـادة العليا المشتركـة للقوات الفرنسية بتاريـخ ١ أكتوبر ١٩٥٤ [٣]، كانت حصيلة ضربات المقاومة فيما بين ١٩ مارس و٣٠ سبتمبر١٩٥٤ كبيرةً جدًّا، وهي الأولى من نوعها منذ احتلال تونس، وقد وردت هذه الأعمال وحصيلتها في التقرير مفصلةً على النحو الآتي:

- عدد المواجهات مع الجيش الفرنسي ٣٦ مواجهة.
- عدد القتلى العسكريين ٢٨ قتيلاً، والجرحى ٦١.
- ٣٥ اعتداءً على حافظي الأمن، و١٦ على عساكر فرادى ١١٤ على الأشخاص.
- ٢٠ قتيلاً أوروبيًّا، و٤٧ جريحًا.
- ١٢ عملية تخريبٍ للسكك الحديدية، و٢٤ لخطوط الهاتف.

١. العايدي، فتحي، حركة الفلاقة من معركة برقو (٨-١٥ نوفمبر ١٩٥٤) إلى معارك التحرير المغاربي، ص ٧٤.

٢. الصغير، عميرة علية، كومندوس فرحات حشاد، ص ٢٠٧.

٣. علية الصغير، عميرة، المنصر (عدنان)، المقاومة المسلحة في تونس (١٩٣٩-١٩٥٦)، ص ١٥١.

ـ ٣٠ عملية تخريبٍ لمبانٍ عموميةٍ وخاصة.

ـ ٣٩ هجومًا على ضيعات فلاحية.

ـ ١٦ عملية حرقٍ لمحاصيل فلاحية.

ألهمت الثورة التونسية في صائفة ١٩٥٤ زعماء الحركة الوطنية الجزائرية الذي كانوا في السابق ينظرون إلى البندقية بريبة، ولا يخفون مخاوفهم من ردود الفعل الفرنسية. فأعلنوا في يوم ١ نوفمبر ١٩٥٤ عبر موجات إذاعة صوت العرب في القاهرة عن اندلاع الثورة الجزائرية.

ج. الثورة تجني ثمارها:

أمام الخسائر الفادحة التي تكبّدها الجيش الفرنسي في تونس، طرحت الحكومة الفرنسية فكرة منح تونس حكمها الذاتي. وفي يوم ٣٠ جويلية ١٩٥٤ صادق مجلس الوزراء على ذلك المبدأ[1]. وبعدها بيوم زار رئيس الحكومة الفرنسية الجديد منداس فرانس تونس في زيارة خاطفة التقى خلالها بمحمد الأمين باي، وأعلن أمامه أن فرنسا مستعدةٌ لمنح تونس استقلالها الداخلي[2]. فكان لهذا الخطاب وقعٌ كبيرٌ في تونس وفي العالم فهي المرّة الأولى التي تعترف فيها فرنسا لتونس بهذا الحق. اقترح رئيس الحكومة الفرنسية على الباي تشكيل حكومةٍ تفاوضيةٍ، ووعد بانطلاق هذه المفاوضات في القريب العاجل قائلاً:«... إنه ومن الآن إذا كانت تلك رغبتكم يمكن تشكيل حكومةٍ جديدةٍ تباشر إلى جانب مهامها الاعتيادية عملية المفاوضات باسمكم مع الحكومة الفرنسية ...»[3]. وفي خطوة سريعة اجتمع المكتب السياسي للحزب الدستوري في جينيف برئاسة صالح بن يوسف وأعرب عن موافقته المشاركة في حكومة الطاهر بن عمار التفاوضية، وصرّح صالح بن يوسف إثر هذا الاجتماع أنّه لا يحبّذ كلمة استقلال داخلي، ويجب تعويضها بكلمة حكم ذاتي؛ لأنّها تغطي السيادة الوطنية بنحوٍ أوسع؛ فهي لن تكون سوى مرحلةٍ انتقاليةٍ لتحقيق الاستقلال التام[4]. فيما صرّح الحبيب بورقيبة في حوار أجرته معه جريدة فرانس تيرار[5] أنّ «إعلان

1. V-Y Mudimbé et autres: "L'Afrique et son environnement européen et asiatique", Editions, L'Harmattan, Paris,2008 , p 37.

٢. واردة، المنجي، جذور الحركة اليوسفية، ص ٤٨٥.

٣. الصخراوي، الأزهر، مخطّطو السياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس، من برنار روا إلى شارل سومانيه (١٨٨١-١٩٥٦)، ص ٢٦٨.

٤. المرجع السابق، ص ١٥٢.

5. France Tireur

قرطاج له معنى كبير حيث تلتقي فيه المصلحة الفرنسية مع المصلحة التونسية بصورةٍ رائعة».

وفي يوم ٨ أوت ١٩٥٤ شُكّلت رسميًّا حكومة الطاهر بن عمار التفاوضية بإشراف محمد الأمين باي قبل أن يقوم أعضاؤها بزيارة مجاملة إلى دار الباي بالقصبة، ثمّ إلى دار فرنسا مقرّ المقيم العام الفرنسي، الذي رأى في ذلك تجاوزاً بروتوكوليًّا للتقاليد المعمول بها[١]. وقد ضمّت هذه الحكومة أربعة وزراء محسوبين على الحزب الحرّ الدستوري، وهم كلٌّ من المنجي سليم، ومحمد المصمودي في خطّة وزير دولة مكلّف بالتفاوض، والصادق المقدّم في خطّة وزير للعدل، والهادي نويرة في خطّة وزير للتجارة[٢]. وهي تعدّ بذلك أوّل حكومةٍ ينال فيها الدستوريون هذا العدد المهمّ من الحقائب الوزارية[٣].

انطلقت المفاوضات يوم ٤ سبتمبر ١٩٥٤ لكن سرعان ما توقّفت بسبب تصاعد وتيرة ضربات المقاومة المسلّحة في أغلب مناطق البلاد. وهو الأمر الذي دفع الجانب الفرنسي ليشترط نزع سلاح الفلاقة لمواصلة التفاوض. وبعد التشاور مع عديد الأطراف أعلن المفاوضون أنّهم توصّلوا إلى حلّ مشكلة الثوّار يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٥٤ [٤]. نصّ الحل على أن يسلّم الثوّار أسلحتهم كلّها للجان معدّة للغرض. ثمّ وبعد الاتفاق أصدرت الحكومة التونسية والإقامة العامة الفرنسية بيانا مشتركا كانَ نصّه التالي: «تدعو الحكومة التونسية الفلاقة[٥] على رؤوس الملأ ليسلموا أسلّحتهم للسلطة الفرنسية والتونسية، كما يتعهّد المقيم العام الفرنسي والحكومة التونسية بمقتضى الاتفاق المبرم بينهما أنّه لن يقع إزعاج الفلاقة، وتتبعهم وستسلم لكلّ منهم شهادة بذلك صادرة عن المقيم العام. وستسهر السلطة الفرنسية والتونسية على التطبيق الدقيق للتدابير الموضوعة باتفاقٍ مشترك، وتهتمّ بأن يكون لها مفعولها التام الكامل. وستتخذ إجراءات لتسهيل عودة الفلاقة إلى استئناف حياتهم العادية بين أهلهم وذويهم ...»[٦]. وقد عمّم هذا النصّ على أغلب وسائل الإعلام المتاحة آنذاك من راديو وصحف، ويبدو أنّ هذا الشرط الفرنسي من أجل استئناف جولات المفاوضات

١. السباعي، فوزي، الطاهر بن عمّار (١٨٨٩-١٩٨٥)، ص ٣٩٠- ٣٩١.

٢. المرجع السابق، ص ٣٩١-٣٩٢.

٣. العلاني، عليّة، حقائق جديدة عن الأزمة اليوسفية البورقيبية ومفاوضات الاستقلال ١٩٥٥-١٩٥٦ من خلال بعض الشهادات الحيّة، ص ١٣٦.

٤. التركي، عروسية، الحركة اليوسفية في تونس ١٩٥٥- ١٩٥٦، ص١٨١.

٥. هو مصطلح كان يطلق على المقاومين للاستعمار ويعنى به المتمرد والخارج عن القانون.

٦. جريدة الصباح بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٥٤.

دليل على ضراوة المقاومــة المسلّحــة التي بلغت ذروتها في صائفـــة سنة ١٩٥٤.

إثر هذا البلاغ أخذت الحكومتان في تشكيل لجانٍ تشرف على عملية التسليم بالتعاون مع الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد. وقد كانت طريقة التسليم هي ذاتها في كامل مناطق الإيالة، وكان فيها نوع من المغالطة ـــ إن صح التعبير ـ إذ تشير جلّ الشهادات سواء من مسلِّمي السلاح أم متسلِّميه إلى أنّ العناصر التونسية في اللجنة هي التي كانت تتقدّم إلى الثوار وتقنعهم بالتسليم، فيما يبقى الضباط الفرنسيون بعيدين تمامًا؛ حتى يتمّ إيهام المقاومين أنّهم لا يسلّمون أسلحتهم إلاّ إلى حكومتهم التونسية التي ستحافظ على السلاح لديها، في حين أنّه ومباشرةً بعد اكتمال عملية التسليم يسلّم الأعضاء التونسيون الأسلحة التي جمعت إلى الضباط الفرنسيين[١]. عندما يسلّم كلّ مقاومٍ سلاحه يتلّقى في مقابل ذلك ضمانٌ مكتوبٌ يعرف بـ(شهادة دي لاتور)؛ لأنّها تحمل إمضاء المقيم العام بتونس آنذاك بيار بوايي دولا تور[٢]، التي يتعهّد فيها بعدم ملاحقة الثوّار لما ارتكبوه من أعمالٍ تجاه فرنسا.

وقد انتهت عمليات تسليم السلاح في البلاد كلّها، وكانت حصيلتها حسب إحصاء لأركان الجيش الفرنسي بتونس ٢٧١٣ رجلاً ألقوا بسلاحهم، أمّا عدد الأسلحة التي تسلّمتها السلطات منهم كانت ٢٥٠٥ قطعة فقط[٣]، ويلاحظ أنّ عددًا لا بأس به من المقاومين سلّموا أنفسهم دون سلاح، كما يبدو أنّ الأسلحة الصالحة والفعّالة لم تسلّم وفق ما جاء على لسان عددٍ من المقاومين أمثال صولة بن الصادق الذي قال: «كانت اللجنة التي اتّصلت بنا برئاسة محمد الجدي، سلمّنا لها الأسلحة، وفي الحقيقة سلمنا لهم شيئًا طفيفًا، أمّا الأسلحة الجديدة فقد احتفظنا بها»[٤].

المحور الثاني: الاستقلال الداخلي واندلاع الصراع اليوسفي البورقيبي

نجحت المقاومة المسلّحة حقًّا في دعم قضية التحرّر التونسية،ـ وفي دفع الفرنسيين إلى منح تونس استقلالها الداخلي، لكن كان لهذا الإنجاز أيضًا انعكاساتٌ خطيرةٌ على الحركة الوطنية التونسية التي دخلت في مرحلة من التجاذبات والخلافات.

---

١. الصغير، عميرة علية، المنصر (عدنان)، المقاومة المسلحة في تونس (١٩٣٩-١٩٥٦)، ص ١٧٨.

2. Pierre Boyer de Latour

٣. الشابي، منصف، صالح بن يوسف حياة كفاح، ص ١٥٨.

٤. منصر، عدنان، اليوسفية من خلال المصادر الشفوية: دراسة في الخطاب، ص ١١٢.

أ. أسباب الخلاف: اتفاقيات الاستقلال الداخلي خطوة إلى الأمام أم إلى الوراء؟

بعد أن تقدّمت المفاوضات التونسية الفرنسية أشواطًا كبيرة، عاد الزعيم الحبيب بورقيبة إلى تونس يوم ١ جوان ١٩٥٥. وقد كان في استقباله كلٌّ من رئيس الحكومة الطاهر بن عمار، ومبعوث الباي الشاذلي باي، وعديد الوجوه الدستورية، وكذلك رجال الدين المسلمين واليهود، وسط طوفانٍ بشريّ كبيرٍ غصّت به أرصفة الميناء والشوارع المؤدية له. ثمّ غادر بورقيبة الميناء وسط هتافاتٍ الجماهير بحياته وبحياة صالح بن يوسف[١]. عاد الزعيم صالح بن يوسف بدوره يوم ١٣ سبتمبر ١٩٥٥[٢] على متن طائرةٍ قادمةٍ من روما، وكان في استقباله كلٌّ من الحبيب بورقيبة، والشاذلي باي، ورئيس الحكومة الطاهر بن عمار وسط حشودٍ قُدّرت بحوالي ١٥٠٠٠ شخص. توجّه موكب بن يوسف إلى القصر الملكي، ثمّ منزل الشهيد فرحات حشاد برادس قبل أن يتّجه إلى منزله بمنفلوري[٣]. ومن ثَمّ خطب الزعيمان في الجماهير المحتشدة أمام المنزل، وقد أدرك الحاضرون حينها أنّ الخلاف بين الزعيمين لا يزال متواصلاً؛ إذ لم يعدل أيٌّ منهما عن موقفه إزاء الاتفاقيات.

عاد الزعيمان الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف إلى أرض الوطن، وكلاهما متشبّثٌ برأيه حول مسألة الاتفاقيات، فلئن أشاد بها الأول، وعدّها خطوةً إلى الأمام، فقد أصرّ الثاني على أنّها خطوةٌ إلى الوراء وخيانة للشهداء ومجاهدي الجزائر والمغرب، وقاعدة للحماية أكثر صلابةً من اتفاقية باردو ١٨٨١[٤]. وحقيقة لا يبدو أن بن يوسف كان معارضًا لمبدأ الاستقلال الداخلي منذ البداية ففي صائفة سنة ١٩٥٤، صرّح من جينيف «...أنّ الاتفاق الذي حصل في هذا الاجتماع يتماشى مع توجيهات المجاهد الأكبر... وإن الاستقلال الداخلي سيكون الخطوة الحاسمة نحو الاستقلال التونسي التام»[٥].

لم يبق الزعيم صالح بن يوسف كثيرًا على موقفه هذا إذ صرّح من مؤتمر باندونغ في منتصف شهر أفريل ١٩٥٥ قائلاً: «إنّ الشعب التونسي يرفض تلك الاتفاقيات، وهو عازم على إحباطها بجميع ما لديه من وسائل؛ وعليه فإنّ توقيع تلك الاتفاقيات وفرضها على الشعب معناه إعلان

---

١. الغربي، محمد الأزهر، تونس رغم الاستعمار، المغاربية للطباعة وإشهار الكتاب، ص ٢٩٣.

2. Rapport de police "Arrivée de Salah Ben Youssef à Tunis", 14 September 1955, site web officiel de Habib Bourguiba, www.habib-bourguiba.net.

٣. ضيف الله، محمد، صالح بن يوسف خطب ووثائق أخرى ١٩٥٥-١٩٥٦، ص ٣٧.

٤. قائد السبسي، الباجي، الحبيب بورقيبة المهم والأهم، ص ٥٥.

٥. المنصوري، سالم، أحمد بن صالح وزمانه، ص ١٧٤.

الحرب عليه»[١]. وعند رجوعه إلى القاهرة توجّه بخطابٍ إلى الشعب التونسي جاء فيه «إنّ الاتفاق الذي هو بصدد الإعداد لا يضمن سوى امتداد نظام الاستعمار الحالي الذي رزحت تحته البلاد التونسية طيلة أربعة وسبعين سنة»[٢].

وعلى النقيض من ذلك كانت ردود الزعيم الحبيب بورقيبة من حين إلى أخر تبرز، ففي ردٍّ له على تصريح أدلى به بن يوسف يوم ٣١ ديسمبر بجنيف أكّد بورقيبة لصحيفة فرانس أوبسرفاتور[٣] في عددها ليوم ٥ جانفي ١٩٥٥ «أنّ حزبنا تكوّن ليحقّق استقلال تونس بدعم من فرنسا ... إنّ الأفكار الجريئة في هذا التوجّه ـــ كما كنت دائمًا أعتقد وأقول ـــ سوف تنتصر عاجلاً أم أجلاً على دعاة الوطنيّة المطلقة، وعلى أشياع الاستعمار المتصلبين»[٤]. وقد بدت تصريحات بورقيبة كما لاحظ الأستاذ (عميرة عليا الصغير) بعيدةً عن مقرّرات الحزب عكس نظيره بن يوسف، وقد رجّح هذا رؤية بورقيبة في تسيير الحزب، وقيادة العمل الوطني، أي مركزية الأنا، وتضخّم الوعي بمكانة الزعامة، ووجوب فروض الطاعة له[٥].

ب. محاولات الصلح والتوافق:

منذ عودتهما إلى تونس حاول الزعيمان في مناسباتٍ عدّة أن يقنع كلٌّ منهما الآخر بالعدول عن موقفه، فقد اجتمعا معًا مساء يوم عودة بن يوسف من القاهرة، وفي مرّة ثانية مساء يوم ١٥ سبتمبر لمدّة ثلاث ساعات، ثمّ التقيا في مناسباتٍ رسميةٍ أخرى أولها يوم ٢٤ سبتمبر في حفل اختتام الدروس النقابية، ثمّ يوم ١ أكتوبر برفقة الشاذلي باي في افتتاح السنة القضائية[٦].

كما حاولت أطرافٌ عديدةٌ توحيد مواقف الزعيمين وتجاوز الخلاف، لعلّ أولها كان بعد عودة بن يوسف بيومٍ واحدٍ إذ أرسل محمد الأمين باي في طلبه يوم ١٤ سبتمبر ١٩٥٥ لمحاولة التوفيق بينه وبين بورقيبة، لكن بن يوسف رفض الحضور[٧]. ثمّ جاءت محاولاتٌ أُخر لرأب الصدع منها ما قام به الاتّحاد العام التونسي للشغل ممثّلاً في شخص أمينه العام أحمد بن صالح الذي

١. المولهي، محمد الحبيب، الوطن والصمود (مذكرات)، ص ٢١٩.

٢. الصحراوي، الأزهر، مخطّطو السياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس، ص ٢٧٢-٢٧٣.

3. France Observateur

٤. الصغير، عميرة علية، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، ص ١٨.

٥. المرجع السابق. ص ١٧.

٦. ضيف الله، محمد، صالح بن يوسف: خطب ووثائق أخرى ١٩٥٥-١٩٥٦، ص ٢٨-٢٩

7. Ben Salem (Mohamed) «L'antichambre de l'indépendance 1947-1957». Cérés production. Tunis. 1988. P 185.

ذكر في حوارٍ له مع الصحافة : «لقد حاولنا في الاتّحاد إصلاح ذات البين بينهما وتهدئة الأمور، لكن القطيعة حدثت وغذّاها أصحاب النوايا... ورغم محاولتنا الوصول إلى وفاق إلاّ أنّ بعض المحيطين بهما كانوا يرفضون ذلك»[١]. وتجدر الإشارة إلى أنّ أغلب المحاولات الأولى التي بذلت قبل قرار رفت بن يوسف من الحزب كانت بإيعازٍ من بورقيبة[٢]. كذلك فعل الوفد العراقي برئاسة الأستاذ عبد المجيد المحمودي الذي جاء لحضور مؤتمر الحزب في صفاقس، وقد زار بن يوسف بعد أن شارك في افتتاح أشغال المؤتمر بيوم راجيًا له أن يتوفّق الطرفان في الوصول إلى حلٍّ جذري للأزمة، ويحصرا النزاع[٣]. ومن بعده الوفد الليبي الذي زار تونس بهدف التوفيق بين الزعيمين لكن دون جدوى[٤].

لم تكن محاولات الصلح حكرًا على المنظمات والجهات الرسمية في تونس، بل تشكّلت مبادراتٌ شعبيةٌ عديدةٌ تدعو إلى تجاوز الخلاف ورأب الصدع عن طريق التظاهر خاصّة، مثل الدعوة إلى التظاهر التي وجهت لعموم المواطنين عن طريق مناشير بعنوان (لنحافظ على وحدتنا القومية)، إذ دعت إلى المطالبة بالاتحاد بين قطبي الكفاح التونسي (بورقيبة، وبن يوسف)، وذلك بالتظاهر يوم الجمعة ١١ نوفمبر ١٩٥٥ على الساعة الثالثة مساءً أمام القصر الملكي بقرطاج.

لكن باءت كلّ هذه المحاولات بالفشل، وزادت الأوضاع تعكّرًا، وإنْ تعدّدت أسباب ذلك فإنّ كثيرين رجّحوا أنّ السبب في ذلك من هم حول الزعيمين مؤكّدين على ما ذكره أحمد بن صالح في تصريحه سابق الذكر، حيث يقول أحد أنصار بورقيبة المناضل محمود اللافي: «بن يوسف كانت تحيط به جماعةٌ يخيفونه من بورقيبة، ويقولون له احذر إنّه يريد التصالح معك من أجل لفت الأنظار عنك، والتخلّص منك»[٥]. ويطرح أنصار بن يوسف الفكرة ذاتها، فيقول المناضل علي المعاوي عن المحيطين بالزعيم الحبيب بورقيبة: «هم أشخاصٌ باعوا أنفسهم لمنداس فرانس وإدغار فور، وساهموا بطريقةٍ مباشرةٍ في حصول القطيعة بين الزعيمين»[٦].

---

١. جميل، فيصل، قيادات المقاومة المسلحة في الجنوب الشرقي في الخمسينات، محمد قرفة أنموذجًا، إشراف الأستاذ كمال جرفال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة. ٢٠١٤-٢٠١٥، ص ٦٠.

٢. البكوش، سمير، المعارضة اليوسفية ومساعي تثبيت النفوذ السياسي للسلطة المدنية بجهة قفصة (١٩٥٥-١٩٥٧)، ص ١٧٤.

٣. الشابي، منصف، صالح بن يوسف حياة كفاح، ص ٢١٠-٢١١.

4. Ben Salem (Mohamed), L'antichambre de l'indépendance 1947-1957… , p 191.

٥. شهادة المناضل محمود اللافي بتاريخ ٠٥ نوفمبر ٢٠١٩. وقد شغل هذا المناضل خطة () مكلف بمأمورية بديوان وزير الداخلية () بداية سنة ١٩٥٦.

٦. منصر، عدنان، اليوسفية من خلال المصادر الشفوية: دراسة في الخطاب، ص ١٠٥.

ج. القطيعة والانشقاق:

في يوم ٧ أكتوبر ١٩٥٥ خطب بن يوسف في جامع الزيتونة المعمور، فدفع بالخلاف إلى مرحلةٍ جديدة، إذ صرّح للمصلين قائلاً: «يجب على الشعب حتى لا يخون عقيدته الوطنية، ولا يخذل إخوانه في الجزائر والمغرب، وحتى لا يخذل هذه المجموعة (شعوب باندونغ) أن لا يقر هاته الاتفاقيات، وأن يعقد العزم من جديدٍ على مواصلة العمل، ومواصلة الكفاح للتخلّص نهائيًّا من نير الاستعمار سواء اصطبغ بصبغة الاتفاقيات أم بصبغةٍ أخرى»[١]. غضب بورقيبة كثيرًا من هذا الخطاب، ورأى فيه خروج عن الحزب، ودعى الديوان السياسي للحزب للاجتماع يوم ١١ أكتوبر ١٩٥٥ بمدينة المنستير دون حضور أمينه العام، وقرّر رفت بن يوسف وتجريده من الأمانة العامة[٢]. رفض بن يوسف القرار وتمسّك بالأمانة العامة للحزب وصرّح في بلاغٍ له: «بأنّ القرار المذكور لم يكن صادرًا عن ذي أهليةٍ أو صلاحيةٍ حسب قوانين الحزب»[٣].

وفي بداية نوفمبر ١٩٥٥ أرسل الدكتور أحمد علولو رئيس المؤتمر الذي ينوي الحزب الدستوري عقده في مدينة صفاقس، دعوة إلى بن يوسف لحضور المؤتمر فرد صالح بن يوسف عليه قائلاً : «أشكركم على دعوتكم ... وأرجوا أن تكونوا بدعوتكم هاته لا تزالون تعتبروننني الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي، وعلى هذا الأساس سأوجه دعوة الحضور إلى كلّ الشعب الدستورية المنضوية تحت لواء الأمانة العامة للحزب، وذلك لا يمكن أن يتمّ قبل أسبوع، فأرجو تأجيل الاجتماع إلى أسبوع من هذا اليوم»[٤]. رفض الديوان السياسي تأجيل المؤتمر ففكّر بن يوسف في الحضور لكن بلغه من رفيقه علي الزليطني أنّ خطّةً مدبّرةً قد أحبكت لاغتياله هناك. وقد ساد بعد المؤتمر أنّ أربعة مقاومين قد خطّطوا فعلاً لاغتياله هو والحبيب بورقيبة؛ «حتى يريحوا البلاد من التطاحن والشقاق اللذين كانا السبب فيهما»[٥]. وقد ذكر بعض النواب المشاركين في المؤتمر أنّ رفض بن يوسف الحضور مكّن بورقيبة من الاستحواذ بالرأي، وتوجيه المؤتمر إلى ما يرنو إليه، وأنّه لو حضر بن يوسف هذا المؤتمر ربّما كانت ستؤول النتائج لصالحه[٦]. وقد حضر هذا المؤتمر عددٌ من الدستوريين الموالين لصالح يوسف، والمتبنين لأطروحاته أمثال الحبيب المولهي

١. جريدة الزهرة بتاريخ ٠٩ أكتوبر ١٩٥٥.

٢. بلخوجة، الطاهر، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم (شهادة على عصر)، ص ٠٦.

٣. جماعي، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال (الجزء الثالث)، بإشراف الأستاذ خليفة الشاطر، ص ١٧٦-١٧٧.

٤. جريدة الصباح بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٥٥.

٥. الزليطني، محمد حفيظي، الزعيم علي الزليطني: سيرة نضال، ص ١٤٦.

6. Ganiage (Jean), "Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours", Paris, Fayard 1994, p 557.

الذي ذكر أنّه طالب بإعطائه الكلمة في المؤتمر، لكن منعه من ذلك الباهي الأدغم فغادر مباشرة[١].

انطلق المؤتمر يوم ١٥ نوفمبر بحضور العديد من الوفود العربية والإسلامية، أبرزها الوفد المصري الذي تكّون من وزير الأوقاف الشيخ أحمد حسن الباقوري، والسيد أحمد سعيد مدير إذاعة صوت العرب، والصحفي حبيب جماتي، والوفد العراقي بقيادة الأستاذ عبد المجيد المحمودي[٢]. اختتمت أعمال المؤتمر بانتخاب الحبيب بورقيبة رئيسًا من جديدٍ للحزب، ورفض الأمين العام صالح بن يوسف من كلّ هياكل الحزب[٣].

رغم رفض بن يوسف لقرار رفته الأول إلاّ أنّه أخذ في تركيز أساسات حزبٍ جديدٍ تحت مسمّى (الأمانة العامّة)، فمنذ يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٥ أخذ في افتتاح مقرّات ونوادٍ للأمانة العامة إذ قام في هذا اليوم بافتتاح المقرّ الرسمي للأمانة العامة بنهج الجزيرة وسط العاصمة[٤]. ثم بدأ نزيف الانسلاخ من الديوان السياسي والانضمام تحت لواء الأمانة العامة، ولئن تتعدّد تقديرات الباحثين والمؤرّخين لعدد المنتمين إلى الديوان السياسي، وإلى الأمانة العامة من الشعب الدستورية، فإنّ تقرير الإقامة العامة الفرنسية قد رجّح أنّ المنتمين للأمانة العامّة في أواخر ١٩٥٥ هم ٥١٨ شعبة، و٤١ جامعة مقابل ١٠٠٠ شعبة، و٣٢ جامعة أبقت على الولاء للديوان السياسي[٥]. في حين صرّح صالح بن يوسف في ندوةٍ صحفيةٍ له بتاريخ ١١ جانفي ١٩٥٦ أنّ الأمانة العامة تتمتع بثقة ٧٤٧ شعبة دستورية موزعة على كامل المملكة[٦].

في أواخر شهر جانفي من سنة ١٩٥٦ اتخّذت حكومة الطاهر بن عمّار والسلطات الفرنسية قرارًا مشتركًا بإلقاء القبض على صالح بن يوسف وتوجيه تهمة التآمر على أمن الدولة الداخلي والخارجي، وارتكاب جرائم يعاقب عليها القانون، وكذلك تحميله مسؤولية الفتنة التي تعيشها

---

١. العلاني، عليّة، حقائق جديدة عن الأزمة اليوسفية البورقيبية ومفاوضات الاستقلال ١٩٥٥-١٩٥٦ من خلال بعض الشهادات الحيّة، المجلة التاريخية المغاربية، العددان ٩٣-٩٤ ، ماي ١٩٩٩ ص ١٤١.

٢. الشابي، منصف، صالح بن يوسف حياة كفاح، ص- ص ٢١٠,٢١١.

٣. الغربي، محمد الازهر، تونس رغم الاستعمار، ص ٢٩٨.

٤. ضيف الله، محمد، صالح بن يوسف خطب ووثائق أخرى ١٩٥٥-١٩٥٦، ص ٣٠.

٥. تقرير المقيم العام الفرنسي بتاريخ ٢٥ /١٩٥٦/٠٥.

SHAT , Volume 2H136 .b D2. f273.

٦. جريدة الصباح بتاريخ ١٢ جانفي ١٩٥٢.

البلاد[١]. وفي يوم ٢٦ جانفي بلغت مسامع بن يوسف ما عزمت عليه الحكومة، فقرّر مغادرة العاصمة فورًا في اتجاه طرابلس. ويعود قرار إرغام بن يوسف على مغادرة البلاد حسب ما تبينه التقارير الموجّهة من المندوبية السامية بتونس إلى وزارة الخارجية الفرنسية إلى لقاء جمع كلاًّ من المندوب السامي الفرنسي بتونس روجي سايدو[٢] ، والحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٥٥، وقد اتفق الرجلان في هذا اللقاء على تجنب التصفية الجسدية لصالح بن يوسف حتى لا يتحوّل إلى شهيد، وضرورة دفعه للجوء إلى القاهرة بهدف الحدّ من إشعاعه وخطورته. كما عبّر بورقيبة في الآن ذاته عن رغبته في بعث محكمة خاصة لفرض الأمن بالبلاد وملاحقة المشاغبين[٣].

وفي يوم ٢٨ جانفي انطلقت الحكومة في حملة اعتقالات طالت رموز المعارضة اليوسفية،[٤] وقد شملت مختلف مناطق البلاد في وقت واحد[٥]. من بينهم القيادي البارز في الأمانة العامة علي الزليطني الذي ألقي عليه القبض أثناء مداهمة منزل صالح بن يوسف[٦].

المحور الثالث: العودة إلى البندقية (الثورة الثانية أو ثورة اليوسفيين)

بعد حظر الأمانة العامة، انحصر نشاط اليوسفيين في المقاومة المسلّحة التي أعدّ لها جيدًا حسب ما بيّنته تقارير الجيش الفرنسي بتونس. وقد نشط (الثوّار الجدد) في مجالاتٍ واسعةٍ من البلاد التونسية، ونجحوا في استهداف الفرنسيين، ومصالحهم في تونس.

أ. بعث جيش التحرير الوطني التونسي

يذكر القيادي في الأمانة العامة حمادي غرس أنّ حملة الاعتقالات التي طالت أنصار الأمانة العامة يوم ٢٨ جانفي ١٩٥٦ كانت وراء اقتناع اليوسفيين بضرورة حمل السلاح من جديد،

---

١. الشابي، منصف، صالح بن يوسف حياة كفاح، ص ٢١٧- ٢١٦.

2. Roger Seydoux

٣. السباعي، فوزي، الطاهر بن عمار (١٨٨٩-١٩٨٥)، ص ٤٤٢ اعتمادًا على تقرير من روجي سايدو إلى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥٥ حول لقائه مع الحبيب بورقيبة يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٥٥.

4. Kassab (Ahmed); Ounais (Ahmed) avec la contribution (Rabaa Ben Achour. Ali Louati. Chiraz Mosbah) «Histoire générale de la Tunisie .l'Epoque contemporaine 1881-1956 ». Sud Edition. Tunis .Mai 2010. P 548.

5. Sayah (Mohamed), "Le nouvel état aux prises avec le complot youssefiste 1956-1958", Tome 3, Dar Amal , Tunis 1983. P 335.

٦. الزليطني، محمد حفيظي، الزعيم علي الزليطني : سيرة ونضال، ص ١٤٨.

والصعود إلى الجبال يوم ٢٩ جانفي ١٩٥٦. وهذا التصريح ربّما كان مرده عدم علم كلّ قياديي الأمانة العامة بنيّة زعيمهم حمل السلاح من جديد منذ عودته، أو ربما كذلك لتبرير لجوء اليوسفيين لحمل السلاح وتشكيل جيش للمقاومة.

فمنذ أن عاد صالح بن يوسف إلى تونس في ١٣ سبتمبر ١٩٥٥ أخذ في طرح مواقفه من اتفاقيات ٣ جوان ١٩٥٥م، وكان يدعو من حينٍ إلى آخر إلى حمل البندقية من جديدٍ لإرغام فرنسا على منح تونس الاستقلال التامّ، فقد صرّح في خطابٍ له أمام وفد الاتّحاد العام للفلاحة التونسية يوم ١٦ أكتوبر ١٩٥٥ : «لقد عدّت لأقاوم، ولن أترك أبدًا المقاومة، وسأرفع معنويات هذا الشعب ليرمي هذا المصير الذي أقرّته له الاتفاقيات الفرنسية التونسية»[١]. ويؤكّد هذه النوايا أحد رفاق دربه السيد الشاذلي البديري في تصريحٍ له لجريدة الصباح يوم ١٢ أوت ١٩٨٨: «إنّ الذي جاء من أجله الزعيم صالح بن يوسف إلى أرضٍ الوطن ليس تأسيس الأمانة العامة، ولا تكوين حزب سياسي، وإنّما تكوين وتنظيم جيش التحرير التونسي الذي سيستأنف الكفاح بجانب الجيش الجزائري وجيش التحرير المغربي. فالزعيم صالح بن يوسف الذي آمن بقومية المعركة والذي يرى أنّه لا خلاص من الاستعمار، ولا استقلال حقيقي إلّا باستقلال كامل شمـــال إفريقيا ... وقد كان يقول لكلّ القادة الذين التقى بهم: إنّ الرجوع إلى الجبال والكفاح هو الذي سيحرّر البلاد في ظرف ستة أشهر»[٢].

أمّا بخصوص تقارير جيش البر الفرنسي فقد تحدّثت عن تاريخ أبعد من هذا كلّه بخصوص انطلاق الاستعدادات، حيث رصدت الاستعلامات العسكرية الفرنسية في تقريرٍ لها بتاريخ ٠٨ سبتمبر ١٩٥٥ أنّ هناك تحركاتٍ لقدماء المقاومين لتجنيد المتطوعين، وجمع السلاح للعودة إلى المقاومة، شأن القائد محمد بنّ مصباح النيفر الذي كوّن خليّةً من ١٨ من رفاقه القدامى بجهة المزونة؛ استعدادًا للثورة من جديد[٣]؛ بينما بدأت الصحافة الفرنسية تنشر على أعمدتها تحرّكات جيش التحرير وفرقه انطلاقًا من شهر جانفي ١٩٥٦ [٤]. كما يذكر الضابط المصري فتحي الديب المكلّف من طرف الرئيس جمال عبد الناصر لإعداد خطّة ممارسة الدور الإيجابي للثورة المصرية لتحرير شمال إفريقيا، أنّه قد اجتمع بصحبة زميله الضابط إسماعيل الصادق بالقائد الطاهر الأسود يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٥٥ سرّا في طرابلس، وانتهى الاجتماع بإعداد خارطة عملٍ، وتقسيم الإيالة

١. جريدة الزهرة ١٨ أكتوبر ١٩٥٥.

٢. اللواتي، حمادي، أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية (١٨٨١- ١٩٦١)، ص ١٥٧.

3. SHAT. C 2H 314. bobine S507. Nf.

4. Le Petit Matin le 29 Janvier 1956 « Les néo-Fallaga et leurs zones d'opérations».

التونسية إلى ستة مناطق عسكرية[١].

عمومًا أيام قليلة قبل لجوء الزعيم صالح بن يوسف إلى ليبيا يوم ٢٨ جانفي١٩٥٦ [٢]، يبدو أنّ اجتماعًا قد عقد بمنزله في مونفليري بتونس العاصمة، نوقشت فيه عديد النقاط الخاصة باستئناف المقاومة المسلّحة، وبعث جيش التحرير الوطني التونسي. وقد حضر الاجتماع عدّة أطراف من أقطار المغرب العربي الثلاثة أبرزهم: الطيب الزلّاق، والطاهر الأسود، وعلي الزليطني، وعبد القادر زروق من تونس، وكلٌّ من عبد الحي وعباس بالغرور من الجزائر، ومحمد البصري قائد جيش التحرير الوطني المغربي[٣]. وعلى إثر هذه الخطوات المهمّة في اتجاه تأسيس جيش التحرير الوطني نشر بيان القائد الأعلى لهذا الجيش الطاهر الأسود يوم ١٠ فيفري، وجاء فيه: «هذا بيان القيادة العامّة لجيش التحرير الوطني التونسي توجهه وتعلن على رؤوس الملإ للشعب التونسي والشعب الفرنسي والعالم بأسره أنّا أحدثنا على بركة الله جيشا تحريريا وطنيا تونسيا مهمة هذا الجيش هو تحرير وطننا العزيز من قاذورات الاستعمار وأذنابه وقد قررنا ضمّ الجيش المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة... إنّنا نناشد الشعب التونسي بجميع طبقاته أن يقدر خطورة الموقف والدور التاريخي الذي مقدم عليه ونحذره بأن لا يقيم للأشخاص أي وزن ولا يضع نصب أعينه إلّا مصلحة الوطن العليا ولذلك فإننا ندعوه إلى مقاومة الديوان السياسي وحكومة الديوان السياسي وأعوانها إذ خانوا جميعهم رسالة الوطن المقدسة فتنكروا لمبادئ حزبنا»[٤]. ثمّ وبعد الإعلان الرسمي عن تأسيس جيش التحرير الوطني التونسي ببضعة أسابيع وتحديدًا يوم ٠٢ مارس ١٩٥٦ أصدرت القيادة العليا لجيش التحرير القانون الداخلي للجيش الذي احتوى ١٢ فصلاً، ووقع تعميمه ونشره لدى قادة الجيش وجنودهم[٥].

---

١. الديب، فتحي، عبد الناصر والثورة الجزائرية، ص ٩٠-٩١.

سنعود إلى هذا الاجتماع والتقسيم العسكري لتونس في عنصر دراسة هيكلة الجيش وتنظيمه.

٢. جماعي، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال (الجزء الثالث)، ص ١٧٤.

٣. الصغير، عميرة علية، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، ص ١٠٤. عبد الله، الطاهر، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، ص ١٣١. موسم، عبد الحفيظ، الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، ص ١٢٧.

٤. جريدة الصباح يوم ١٢ فيفري ١٩٥٦. (بعد يومين من تنزيل البلاغ في صحفٍ أخرى).

٥. جميل، فيصل، الفلاقة اليوسفية ومعركة الاستقلال: جيش التحرير الوطني التونسي ١٩٥٥-١٩٥٦، ص ١٤٦.

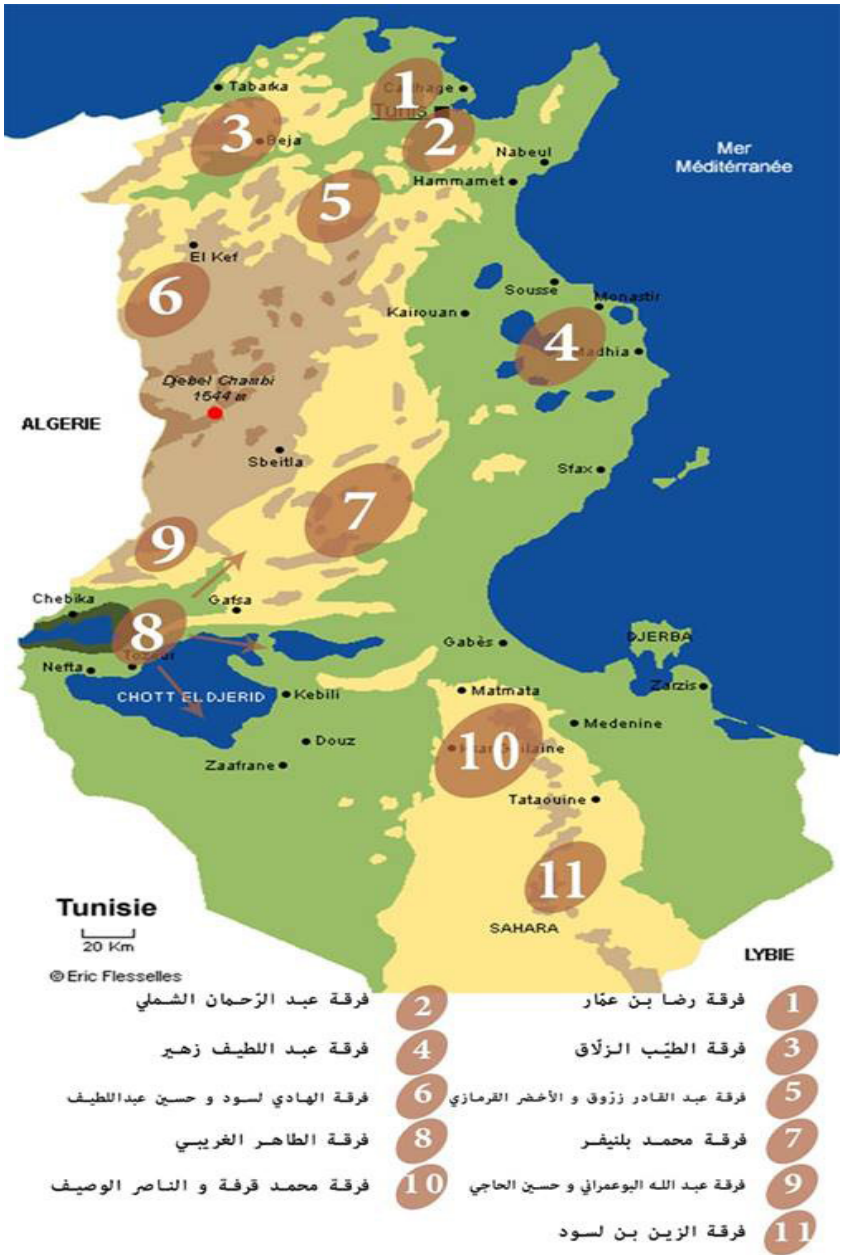

خريطة توزّع المقاومة اليوسفيّة في ربيع سنة ١٩٥٦.

المصدر: الخريطة من إنجاز الباحث.

ب. ثورة أشدّ فتكًا

عندما وصف الكومندان الفرنسي قيبون فرق جيش التحرير بأنّها عصاباتٌ مدرّبةٌ جيّدا، وذات تسليحٍ وتأطيرٍ لا يستهان به[1]، كان يدرك مليًّا مدى خطورة هذا الجيش على التواجد الفرنسي في تونس، وعلى مصالح الإقامة العامة. وحقيقة لقد تلقّى الجيش الفرنسي ضرباتٌ موجعةٌ وعنيفةٌ في المعارك التي جمعته مع جيش التحرير الوطني التونسي، وسنتبيّن هذا من خلال هذه القراءة في البيانات، والإحصائيات التي جمعناها من عددٍ من المصادر والمراجع:

الجدول عدد ٠١ : الخسائر البشريّة من الجانب الفرنسي[2]:

السنوات	عدد الوقائع	خسائر القوات الاستعماريّة	
		قتلى	جرحى
١٩٥٥	٢٣	٩	١٠
١٩٥٦	١٠١	٧٥	٢٠٢
المجموع	١٢٤	٨٤	٢١٢

الجدول عدد ٠٢ : الطائرات الحربيّة الفرنسيّة التي أصابها جيش التحرير الوطني التونسي[3]:

المكان	التاريخ	نوع الطائرة
أم الكرم – بني خداش	٨ مارس ١٩٥٦	إصابة طائرة استطلاع
جبل بليجي بتمغزة	٢١ جوان ١٩٥٦	إصابة طائرة من نوع Martinet
بني خداش معركة العشرات	١٢ مارس ١٩٥٦	إسقاط طائرة من نوع Piper
جبل زيتونة وطرّش بقفصة	١٣ افريل ١٩٥٦	إصابة طائرة من نوع Siebel
جبل مرّة بقفصة	٣١ مارس ١٩٥٦	إصابة طائرة من نوع Martinet

1. SHAT., C 2H312. D2 F 454 .Rapport du 10-25 avril 1956.

٢. الناصري، محمد مختار، المقاومة التونسية المسلحة واشكالياتها ١٩٥٢-١٩٥٦، ص ٢٠٨.

٣. جميل، فيصل، الفلاقة اليوسفية ومعركة الاستقلال: جيش التحرير الوطني التونسي ١٩٥٥-١٩٥٦، ص ٣٢٠-٣٢١.

جبل السويني وسيدي عيش	٤ افريل ١٩٥٦	إصابة طائرة من نوع Martinet
جبل مرّة بقفصة	١٤ افريل ١٩٥٦	إصابة طائرة من نوع P٤٧
جبل عرباطة بقفصة	١٠ ماي ١٩٥٦	إصابة طائرتين من نوع Piper –Sipa
جبل تيلة / فم تطاوين معركة اقري	٢٩ ماي ١٩٥٦	سقوط طائرة من نوع P٤٧

الجدول عدد ٠٣ : عمليات الإغارة على وسائل المواصلات وتخريب شبكة السكّة الحديدية[١] :

السنة	عدد العمليات
١٩٥٥	٨١
١٩٥٦	١٢٩

تكبّد جيش التحرير الوطني التونسي بدوره خسائر كبيرةً في الأرواح في معاركه، توزّعت على مختلف مناطق الإيالة التونسية، ولو بنسب متفاوتة، حيث يظهر جليا أنّ النصيب الأكبر كان لفرق المقاومة التي تنشط في الجنوب، إذ وفي الفترة الممتدة من ١٠ إلى ٢٢ مارس ١٩٥٦ سقط ١٠٣ قتيلاً بمعارك جبال مطماطة لوحدها، وفي شهر ماي من السنة ذاتها سقط حوالي ٢٤٢ قتيلاً في مناطق مختلفةٍ من منطقة الجنوب العسكرية[٢].

ج. الضغط نحو الاستقلال:

أمام تمدّد المعارضة اليوسفية الرافضة للاستقلال الداخلي، وضعف الموقف البورقيبي أواخر سنة ١٩٥٥، بدأ الحبيب بورقيبة يقتنع في الخفاء بعدم جدوى اتفاقيات ٣ جوان ١٩٥٥، وأنّها قد لا تستجيب لطموحات التونسيين. وفي خطوةٍ أولى سافر يوم ١٤ جانفي ١٩٥٦ إلى باريس بصحبة الباهي الأدغم، وطالب للمرة الأولى باستئناف المفاوضات من أجل التقليل من مدّة نقل السيادة الكاملة للحكومة التونسية، وكذلك إعادة النظر في مسألة الدفاع والخارجية[٣]. وقد أبدت

١. الناصري (محمد مختار)، المقاومة التونسية المسلحة واشكالياتها ١٩٥٢-١٩٥٦، ص ٢٢٤.

٢. الصغير، عميرة علية، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انتفاضة المدن – الفلاقة – اليوسفّية، ص ١٧١-١٧٤.

٣. الخفاجي، فاطمة فالح جاسم، العلاقات السياسية المصرية التونسي ١٩٥٦-١٩٧٠، ص ٣٦.

حكومة إدغار فور[1] آنذاك التحفظ على هذا الطلب، إلاّ أنّه مع قدوم حكومة الاشتراكي غي موليه[2] يوم ٣١ جانفي ١٩٥٦ التي أمام تقييمها لخطورة الوضع في تونس الذي بات يميل لفائدة صالح بن يوسف، بدأت تبدي اللين في خصوص مفاوضاتٍ جديدةٍ تمنح تونس مزيدًا من الحقوق. فاغتنم الحبيب بورقيبة فرصة وجوده في باريس في ٧ فيفري ١٩٥٦، وطلب لقاء بعض أعضاء الحكومة الفرنسية، وخاصة (ألان سفاري)، وكانت فحوى اللقاءات رغبة تونس في فتح مفاوضاتٍ جديدةٍ، وطالب للمرة الأولى بالاستقلال في إطار التكافل مع فرنسا[3].

هذا الطلب نفسه طلبه رئيس الحكومة الطاهر بن عمار من المندوب السامي الفرنسي (روجي سايدو) عند استقباله من طرف الباي يوم ١٠ فيفري ١٩٥٦[4]. وفي اليوم الموالي صرّح (روجي سيدو) وهو يهمّ بالسفر إلى باريس قائلاً: «إنّ فرنسا لا تقبل إلغاء اتفاقيات ٣ جوان، لا سيّما أنّ هذه الاتفاقيات لم يمضِ عليها أكثر من خمسة أشهر». وقد أدان الطاهر بن عمّار هذه التصريحات، ورأى فيها نوعًا من المبالغة. وفي صباح يوم الأحد ١٩ فيفري ١٩٥٦ عقد مجلس وزاري تقرّر فيه تقديم طلبٍ رسميّ للحكومة الفرنسية من أجل التسريع في فتح المفاوضات. وقد سبق هذا الطلب بيومين تصريح وزير الخارجية الفرنسي كريستيان بينو الذي قال: «إنّ الحكومة ستتفاوض مع السيد الطاهر بن عمّار لا مع الحبيب بورقيبة»[5].

في ٢٠ فيفري ١٩٥٦ اجتمع المندوب السامي روجي سايدو مع رئيس الحكومة الطاهر بن عمّار بحضور المنجي سليم وزير الداخلية، وتمّ في هذا اللقاء ضبط حدود المفاوضات الجديدة التي تتمثل في مراجعة جزئية لاتفاقيات الحكم الذاتي المبرمة في ٣ جوان ١٩٥٥. ووقع حصر هذه التحويرات في مراجعة الآجال التي نصت عليها الاتفاقيات السابقة، وطرح إمكانية السماح لتونس بمباشرة مسؤوليتها في المسائل الدفاعية والدبلوماسية في نطاق التكافل مع فرنسا وبالاتفاق التام معها وكذلك تذليل الصعوبات التي شكلتها الاتفاقيات السابقة للفرنسيين بتونس[6]. وفي مساء يوم ٢٤ فيفري ١٩٥٦ انعقد مجلسٌ وزاريٌّ مضيّقٌ ندّد بتصريحات وزير الخارجية الفرنسية بينو ودرس الخطوات المقبلة، وتمّ تشكيل الوفد المفاوض الذي تكوّن من: الطّاهر بن عمّار رئيس

1. Edgar Faure
2. Guy Mollet
3. La Presse 25 février 1956.
4. Le Petit Matin 11 février 1956.
5. La Presse 17 février 1956.

٦. جريدة العمل بتاريخ ٢٥ فيفري ١٩٥٥.

الحكومة، الباهي الأدغم الذي تمّت تسميته كنائبٍ لرئيس الحكومة يومها، المنجي سليم وزير الداخليّة، محمد المصمودي وزير الاقتصاد[١].

وفي يوم ٢٧ فيفري ١٩٥٦ انطلقت المفاوضات من جديد، وقد تزعّم الوفد الفرنسي وزير الخارجية الفرنسية بينو إلى جانب وزير الشؤون المغربية التونسية ألان سافاري. وبعد عدّة جلسات توصّل وفدا التفاوض لإيجاد حلول لكلّ النقاط الخلافية، فعاد الوفد التونسي إلى تونس، وصرّح رئيسه الطاهر بن عمار قائلاً: «... كلّ شيء على أحسن ما يرام، ونحن متفقون على جميع القضايا المطروحة: استقلال، إلغاء معاهدة باردو إلى آخره ... ولم يتبقَ إلاّ إنجاز الصيغة النهائية، وسيتمّ إمضاء وثيقة الاستقلال في ظرف أسبوع ...»[٢]. وفي يوم ١٧ مارس ١٩٥٦ اتّصل غي موليه[٣] هاتفيًّا برئيس الحكومة الطاهر بن عمّار، وقرأ على مسامعه الصيغة النهائية لبروتوكول الاستقلال التام، فعاد الوفد التونسي برئاسة الطاهر بن عمار من جديد إلى باريس. وفي تمام الساعة الخامسة وخمس وأربعون دقيقة من مساء يوم ٢٠ مارس ١٩٥٦ أمضى الطاهر بن عمّار مع وزير الخارجية الفرنسية كريستيان بينو[٤] بروتوكول الاستقلال التام بحضور كلّ الوفد التونسي[٥].

عاد الطاهر بن عمّار إلى تونس يوم ٢٤ مارس ١٩٥٦ وسط استقبالٍ شعبيّ كبير لتحقيقه حلم التونسيين بالاستقلال التام. وكان أبرز ما جاء به بروتوكول ٢٠ مارس ١٩٥٦ هي النقاط التالية:

- تعترف فرنسا علانيةً باستقلال تونس.
- إلغاء العمل باتفاقية باردو الموقعة في ١٢ ماي ١٨٨١.
- إلغاء العمل باتفاقيات ٣ جوان ١٩٥٥ التي تنصّ على الاستقلال الداخلي.
- مباشرة تونس لمسؤولياتها في الشؤون الخارجية والأمنية، وتكوين جيش وطني.
- مساعدة فرنسا لتونس في تكوين جيشها.
- استئناف المفاوضات يوم ١٦ أفريل ١٩٥٦، لإبرام اتفاقياتٍ من شأنها أن تسهّل تنفيذ بنود بروتوكول الاستقلال التام[٦].

1. L'action le 27 février 1956.

٢. جريدة العمل بتاريخ ١١ مارس ١٩٥٦.

3. Guy Mollet

4. Christian Pineau

5. Kefi (Ridha), « Ce jour-là : le 20 mars 1956, la Tunisie accède à l'indépendance », Jeune Afrique le 22 mars 2005.

٦. جريدة الصباح بتاريخ ٢١ مارس ١٩٥٦.

لقد كان للمقاومة اليوسفية دورٌ كبيرٌ في الدفع نحو الاستقلال التام للبلاد، وهو ما يؤكّده تصريح الوزير الفرنسي (ألان سفاري) في جلسةٍ برلمانيةٍ في جوان ١٩٥٦ حيث قال: «وقد أجبرت فرنسا على منح الاستقلال التام لتونس، والتحوّل بها من الاستقلال الذاتي إلى الاستقلال الكلي في أشهر قليلة، ويعود ذلك أساسًا إلى الضغط الكبير الذي مارسته المعارضة اليوسفية، ليس فقط على المستوى السياسي، وإنّما على مستوى المقاومة المسلّحة التي أفرزت عددًا كبيرًا من القتلى»[١] . وفي الاتجاه نفسه علّقت الصحف الفرنسية على ذلك كجريدة كومبا[٢] التي ذكرت في عددها ليوم ١٩ مارس ١٩٥٦ أنّ «موقف المعارضة هو السبب في تصلّب المتفاوضين التونسيين ومطالبتهم بالاستقلال الكامل».

الخاتمة

لم يكن الاستقلال التام لتونس وليد معركةٍ سياسيةٍ أو نقابيةٍ فقط، بل إنّ هذا الإنجاز كان وليد تضافر العمل السياسي والنقابي بالعمل العسكري، والمجهود الحربي الذي فجّرته الثورة المسلّحة. وإن تاريخ الحركة الوطنية بتونس لا بد أن يتعامل بإنصافٍ مع جلّ أساليب مقاومة الاستعمار الفرنسي ليعطي صورة التكامل الذي رسمته عشية الاستقلال. فلقد تمكّن التونسيون حقّا من تغيير واقع الاستعمار في تونس عند اللحظة التي بلغ فيها الوعي الوطني بالقضية أوجّه، وعندما صار للحركة الوطنية حاضنةٌ شعبيةٌ غير مسبوقةٍ تبنت كلّ مطالب الوطنيين.

وبالرغم من توقيع الفرنسيين على معاهدة الاستقلال التام لتونس، إلّا أنّهم ظلّوا يراوغون ويماطلون في تنفيذها. فقد حاولوا الحفاظ على أغلب قواعدهم العسكرية في تونس، وهذا الأمر دفع برئيس الحكومة الحبيب بورقيبة ليدعو من جديدٍ إلى حمل البندقية من أجل جلاء القوات الفرنسية عن تونس. وقد شهدت البلاد في سبيل تحقيق ذلك عديد المعارك الطاحنة التي شارك فيها الجيش التونسي الفتي إلى جانب رجال المقاومة وقوات الحرس المتجوّل، حتى أجبروا الفرنسيين على جلاء أخر جنودهم يوم ١٥ أكتوبر ١٩٦٣.

١. موسم، عيد الحفيظ، الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية، ص ١٦٨.

2. Combat

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

١. مصطفى حسن (حمد الله)، «أصداء المقاومة المسلحة التونسية ضدّ الاحتلال الفرنسي في الصحافة المصرية (١٩٥٤-١٩٥٧)»، أعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرين، تونس ١٨-٢٠ نوفمبر ١٩٩٣، جامعة تونس الأولى، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية. تونس ١٩٩٥.

٢. الصغير، عميرة علية، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات . انتفاضة المدن – الفلاقة – اليوسفّية، مطبعة التسفير الفني، صفاقس ٢٠٠٤.

٣. التركي، عروسية، المقاومة المسلّحة في جهة الأعراض من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤، ش. ك. ب. كلية العلوم الإنسانية، تونس،١٩٨٥.

٤. جميل، فيصل، جبل دمّر زمن الجهاد والخلاف والشهادة: دراسية بيوغرافية في مسيرة القائدين مصباح الجربوع ومحمد قرفة، دار الوطن العربي للنشر، المنستير ٢٠٢٤.

٥. جريدة الصباح بتاريخ: ١٣ جانفي ١٩٦٣/ ٢٦ نوفمبر ١٩٥٤/ ١٧ نوفمبر ١٩٥٥/ ٢١ مارس ١٩٥٦.

٦. الصغير، عميرة علية،«في سيرة مقاوم: الأزهر الشرايطي ١٩٢٠-١٩٦٣»، مجلة روافد عدد ١٦، جامعة منوبة، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، منوبة ٢٠٠٦.

٧. الزليطني، محمد حفيظي، الزعيم علي الزليطني، سيرة ونضال: المناضل الذي كافح من أجل الاستقلال فلما جاء الاستقلال وجد نفسه في غياهب السجن، صامد للنشر والتوزيع. صفاقس.

٨. الصغير، عميرة علية، «كومندوس فرحات حشاد»، مجلة روافد عدد ٨، جامعة منوبة، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، منوبة ٢٠٠٣.

٩. عبعاب، عبد الله، شهادة للتاريخ (مذكرات)، الجزء الأول ١٩١٧- ١٩٦١، مطبعة التسفير الفني ٢٠١٠.

١٠. إدريس، محمد مسعود، «المقاومة المسلحة بالجنوب الغربي للبلاد التونسية ١٩٥٢-١٩٥٤: استنتاجات أولية من خلال بعض الإحصائيات»، أعمال الندوة الدولية الثانية عشرة حول الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال ١٨٨١-١٩٥٦، جامعة منوبة، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس ٢٠٠٥.

١١. العايدي، فتحي، «حركة الفلاقة من معركة برقو (٨-١٥ نوفمبر ١٩٥٤) إلى معارك التحرير المغاربي»، مجلة روافد الأعداد ٢٢، ٢٣، ٢٤ . المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، ٢٠١٩.

١٢. علية الصغير، عميرة، والمنصر (عدنان)، المقاومة المسلحة في تونس (١٩٣٩-١٩٥٦) الجزء الثاني، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، ٢٠٠٥.

١٣. واردة، المنجي، «جذور الحركة اليوسفية»، المجلة التاريخية المغاربية، العددان ٧١-٧٢، زغوان ماي ١٩٩٣.

١٤. الصخراوي، الأزهر، مخطّطو السياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس، من برنار روا إلى شارل سومانيه (١٨٨١-١٩٥٦) جامعة منوبة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى تونس ٢٠١٨.

١٥. السباعي، فوزي، الطاهر بن عمّار (١٨٨٩-١٩٨٥)، أطروحة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ عبد الواحد المكني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

١٦. العلاني، عليّة، «حقائق جديدة عن الأزمة اليوسفية البورقيبية ومفاوضات الاستقلال ١٩٥٥-١٩٥٦ من خلال بعض الشهادات الحيّة»، المجلة التاريخية المغاربية، العددان ٩٣-٩٤، ماي ١٩٩٩.

١٧. التركي، عروسية، الحركة اليوسفية في تونس ١٩٥٥- ١٩٥٦، مكتبة علاء الدين، صفاقس ٢٠١١.

١٨. الشابي، منصف، صالح بن يوسف حياة كفاح، دار نقوش العربية، الطبعة الثانية. تونس ٢٠٠٧.

١٩. منصر، عدنان، «اليوسفية من خلال المصادر الشفوية: دراسة في الخطاب»، مجلة روافد العدد الثاني، جامعة منوبة، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ١٩٩٦.

٢٠. الغربي، محمد الأزهر، «تونس رغم الاستعمار»، المغاربية للطباعة وإشهار الكتاب، دار نقوش عربية، تونس ٢٠١٣.

٢١. ضيف الله، محمد، صالح بن يوسف خطب ووثائق أخرى ١٩٥٥-١٩٥٦، إصدارات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر ٢٠١٥.

٢٢. قائد السبسي، الباجي، الحبيب بورقيبة المهم والأهم، دار الجنوب للنشر، تونس ٢٠١١.

٢٣. المنصوري، سالم، أحمد بن صالح و زمانه، منشورات نيرفانا، تونس ٢٠١٨.

٢٤. الصغير، عميرة علية، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المغاربية للطباعة والإشهار، الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

٢٥. جميل، فيصل، قيادات المقاومة المسلّحة في الجنوب الشرقي في الخمسينات: محمد قرفة أنموذجًا، إشراف الأستاذ كمال جرفال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة. ٢٠١٤-٢٠١٥.

٢٦. البكوش، سمير، «المعارضة اليوسفية ومساعي تثبيت النفوذ السياسي للسلطة المدنية بجهة قفصة (١٩٥٥-١٩٥٧)»، مجلة روافد، العدد ١١، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.

٢٧. جماعي، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال (الجزء الثالث)، بإشراف الأستاذ خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس.٢٠٠٥.

٢٨. جريدة الزهرة بتاريخ: ٠٩ أكتوبر ١٩٥٥/ ١٨ أكتوبر ١٩٥٥.

٢٩. العلاني، عليّة، «حقائق جديدة عن الأزمة اليوسفية البورقيبية ومفاوضات الاستقلال ١٩٥٥-١٩٥٦ من خلال بعض الشهادات الحيّة»، المجلة التاريخية المغاربية، العددان ٩٣-٩٤ ، ماي ١٩٩٩.

٣٠. اللواتي، حمادي، أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية (١٨٨١- ١٩٦١)، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس ٢٠٠٥.

٣١. موسم، عبد الحفيظ، الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان ٢٠١٦.

٣٢. جميل، فيصل، الفلاقة اليوسفية ومعركة الاستقلال: جيش التحرير الوطني التونسي ١٩٥٥-١٩٥٦، دار الوطن العربي للنشر، المنستير ٢٠١٤.

٣٣. الخفاجي، فاطمة فالح جاسم، العلاقات السياسية المصرية التونسي ١٩٥٦-١٩٧٠، أطروحة دكتوراه إشراف الدكتور صالح السراي، جامعة ذي قار، كلية الآداب، العراق ٢٠١٦.

٣٤. جريدة العمل بتاريخ ٢٥ فيفري ١٩٥٥/ ١١ مارس ١٩٥٦.

المصادر والمراجع الأجنبية:

35. Fonds. SHAT. Bobine n° 389. 2M 15 H. folio 135.

36. V-Y Mudimbé et autres: “L’Afrique et son environnement européen et asiatique”, Editions, L’Harmattan, Paris, 2008.

37. Rapport de police “Arrivée de Salah Ben Youssef à Tunis”, 14 September 1955, site web officiel de Habib Bourguiba, www.habib-bourguiba.net.

38. Ben Salem «L’antichambre de l’indépendance 1947-1957 ». Cérés production. Tunis. 1988.

39. Ganiage , « Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours», Paris, Fayard 1994.

40. Kassab Ahmed; Ounais Ahmed avec la contribution Rabaa Ben Achour. Ali Louati. Chiraz Mosbah «Histoire générale de la Tunisie .l’Epoque contemporaine 1881-1956 ». Sud Edition. Tunis .Mai 2010.

41. Sayah Mohamed, « Le nouvel état aux prises avec le complot yousséfiste 1956-1958», Tome 3, Dar Amal , Tunis 1983.

42. Le Petit Matin: le 29 Janvier 1956/ 11 février 1956.

43. SHAT., C 2H312. D2 F 454 .Rapport du 10-25 avril 1956.

44. La Presse 17 février 1956/ La Presse 25 février 1956.

45. L’action le 27 février 1956.

46. Kefi Ridha, « Ce jour-là: le 20 mars 1956, la Tunisie accède à l’indépendance », Jeune Afrique le 22 mars 2005.